مجئ إن الشرطية بمعنى إذ الظرفية عرض ودراسة لآراء النحاة والمفسرين

م.م. أيمن حوري ياسين الهيتي

((ملخص البحث))

تناولت في هذا البحث مسألة خلافية بين النحاة البصريين والكوفيين، وبينت أن هذه المسألة قد استدعت ردودا من بعض النحاة والمفسرين وهذه الردود ربما أثارت أسئلة ، فعندما يتكلم أبو حيان مثلا عن مجيء إنْ بمعنى إذ نراه يقول: ((أبعد من جعل "إنْ" بمعنى "إذ" ، فأخرجها عن الشرطيّة إلى الظرفيّة)) . إذن، إذا كان هذا القول يخرج "إنْ" عن الشرط إلى الظرفية ، فما السبب الذي دعا الكوفيين إلى هذا القول ؟ فمن المعلوم أنّ "إنْ" حرف شرط ، و"إذْ" اسم ، و"إنْ" تأتي للمستقبل ، و"إذْ" تفيد المضيّ ، و"إنْ" حرف يفيد التعلق دون الوقت ، و"إذْ" تفيد الوقت والظرفيّة .إذن ، ما العلاقة التي جعلت "إنْ" تأتي بمعنى "إذْ" ؟

هذه الأسئلة وغيرها حاولت أن أثيرها لنجد لها إجابة من خلال عرضنا لآراء النحاة والمفسرين حول هذه المسألة ملتزمين الإنصاف وغير متعصبين لأي مذهب . فغايتنا هي إظهار الحجة والدليل لكلٍ من الفريقين حسب ما تقتضيه القواعد النحوية . وبعد عرضي للمذهبين في هذه المسألة ثم عرضي لأقوال المفسرين فيها ناقشت المسألة وبينت القول الأقرب للواقع اللغوي من خلال الشواهد والأدلة ثم ذكرت رأي بعض المحدثين في هذه المسألة وتوصلت إلى أنه لا مانع من مجيء "إنْ" الشرطية بمعنى "إذ" الظرفية أو التعليلية ، ولو أن النحاة وجَّهوا المواضع التي جيء فيها بـ "إنْ" التي تفيد الشكّ بقولهم : إذا كان في الجملة شك فإنْ على بابها وإن لم تكن على بابها فهي بمعنى إذْ لكُفينا هذه التأويلات وتعدد الأوجه في الآية الواحدة . وما ذلك منهم إلا لأنهم لا يريدون الخروج عن أمر قعّدوه ، أو قول التزموه .
وإذا ما نظرنا الى كثرة التأويلات والآراء في الآية الواحدة فإننا سنجزم حينئذٍ بأنهم لم يقولوا ما قالوه إلاّ ليُقلّلوا من شأن الرأي الذي يقول بمجيء "إنْ" بمعنى "إذ" .وربّما كان استضعاف هذا الرأي من قِبَل البصريين تمحُّلا لا داعي له .فقد وصف الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد رأي البصريين بعد أن ذكر ثلاثة أشياء تؤيِّد رأي الكوفيين في هذه المسألة بالتمحَّل إذ قال: ((وقد تمحّل البصريون في كلّ واحد من هذه الثلاثة : أمّا مضيّ الفعل فزعموا أنّه ـ وإن كان ماضيا في اللفظ مستقبل في المعنى ؛ لأنه سبب لما أريد التعليق عليه ، أو لأن المراد : إنْ يتبيّن كذا ، وأمّا عدم ذكر الجواب فقد ادّعوا أنه محذوف لدلالة الكلام عليه وهو مراد ، وأمّا فتح الهمزة فقد أنكروا وروده)) .

Abstract

This paper deals with a controversial problem between Al Basreen and Al Kofeen grammarians. This problem caused responses from some grammarians and interpreters. These responses raised many questions, for example, when Abu Hayaan talked about "In" used to mean "Ith", stating that " neglect who used "In" to mean "Ith" and make conditional rather than adverbial." If this will make "In" adverbial rather than conditional, then what is the reason that made Al Kufeen believe so. It is well known that "In" is a conditional particle and "Ith" nominal and "In" expresses the future and "Ith" expresses continuity. "In" is a particle which expresses timeless condition, while "Ith" expresses time and adverbially.

These issues and some others are raised here in this study aiming at answering them via unbiased showing views of grammarians and interpreters regarding this point. Our aim is to show evidence provided by both groups according to grammatical basis and rules. After showing what both groups believe in regarding our issue and, what interpreters say about it, I discussed the issue revealing which one of the two is closer to the linguistic reality.

This will be done through analyzing proves and pieces of evidence related to that issue, then I mentioned views of some new grammarians with regard to that issue. I arrived at the conclusion that there in no problem if " Conditional In" is used as " Adverbial ", though some grammarians comment on some of the positions where "In" that expresses doubt saying" if the sentence is doubtful, "In" is conditional and if it is not conditional it means "Ith". Thus there is no need to get into diverse interpretations in the same position.

That is because they do not want to give up an idea they presented or a saying they raised earlier. If we have a look at the many interpretations and opinions regarding the same Quran verse, we will say definitely that they thought like this because they wanted to value too low the opinion that says "In" means "Ith" and may be the weakening of this opinion by Al Basreen was a unjustifiable.

The Sheikh Muhee Al Din Abdul Hameed described Al Basreen's opinion as being unjustifiable after mentioning three things that support Al kufeen opinion. Al Sheikh Muhee said " Al Basreen maneuver on three things; when the action passed they claimed it is past verbally future in meaning, because it is wanted to be like this. Regarding not mentioning the answer, they claimed that is deleted since it is clear from the sentence. Regarding Fathul Hamzah, they denied its presence.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على اشرف المرسلين ، وإمام المتقين ، سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين ، وبعد)

فقد ذكر أبو البركات الأنباريّ في كتابه (الإنصاف) مسألة بعنوان (القول في "إنْ" الشرطيّة ، هل تقع بمعنى "إذْ" ؟) [1] ثمَّ بدأ ـــ كما هو ديدنه في عرضه للمسائل الأخرى ـــ بذكر حجج الفريقين البصريين والكوفيين .

وهذه المسألة استدعت ردودا من بعض النحاة والمفسّرين ، وهذه الردود ربّما أثارت بعض الأسئلة ، من قبل النحاة،فعندما يقول أبو حيان : ((أبعدَ منْ جعل "إنْ" بمعنى "إذ" ، فأخرجها عن الشرطيّة إلى الظرفيّة)) [2]

إذن، إذا كان هذا القول يخرج "إنْ" عن الشرطية إلى الظرفية ، فما السبب الذي دعا الكوفيين إلى هذا القول ؟

فمن المعلوم أنّ "إنْ" حرف شرط ، و"إذْ" اسم ، و"إنْ" تأتي للمستقبل ، و"إذْ" تفيد المضيّ ، و"إنْ"حرف يفيد التعلق دون الوقت ،و"إذْ" تفيد الوقت والظرفيّة ،فما العلاقة التي جعلت "إنْ" تأتي بمعنى "إذْ" ؟

هذه الأسئلة وغيرها سنحاول أن نثيرها ثمَّ نجد لها إجابة من خلال عرضنا لآراء النحاة والمفسرين حول هذه المسألة ملتزمين الإنصاف وغير متعصبين لأي مذهب . فغايتنا هي إظهار الحجة والدليل لكلٍ من الفريقين حسب ما تقتضيه اللغة .

وقبل الختام أودُّ أن أشير إلى أنني بدأت هذا البحث بذكر "إنْ" وأوجهها ثمَّ ذكرتُ "إذْ" واستعمالاهّا ، وبعد ذلك ذكرت المسألة كما جاءت في كتاب (الإنصاف) ولكن بأسلوب موجز كي تتبيّن للقارئ أدلّة الفريقين ، ثمّ بعد ذلك اقتصرتُ على ذكر رأيين لنحْويين هما (ابن هشام والرضيّ) بوصفهما متأخرَيْنِ فلابدَّ أن يكون لهما تعليق على مثل هذه المسألة .

وبما أن هذه المسألة لا تخلوا من الاستشهاد بالآيات القرآنية ، فكان لزاما أن يكون للمفسرين رأي فيها ، فقد ذكرتُ رأي كلٍّ من (الطبريّ ، الزمخشريّ ، الفخر الرازيّ،

البغويّ،أبي حيّان ،أبي الثناء الآلوسيّ) ثمَّ ارتأيتُ أن أذكر من باب الإحاطة والشـــمول رأي بعض المحدثين ولا سيّما الذين تعرّضوا لهذه المسألة في مؤلفاتهم . ثمَّ ختمتُ البحث بنتائج تضمّنت الأسباب التي دعت الكوفيين إلى هذا القول .

إنْ الشرطيّة ومعانيها

"إنْ" ـــ كما بيّن ابن هشام في مغنيه ـــ ترد على أربعة أوجه :

أحدهما : أن تكون شرطية نحو قوله تعالى : {قُل لِلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغَفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينِ }الأنفال 38 وقوله : {إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَـــدْ جَاءكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ }الأنفال19 .

الثاني : أن تأتي نافية ، وتدخل على الجملة الاسمية ، نحو قوله تعالى: {أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ }الملك20

وقوله : {الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَراً مِّنَ الْقَوْلِ وَزُوراً وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ } المجادلة2 .

الثالث : وأن تكون مخففة من الثقيلة فتدخل على الجملتين ، الاسمية والفعلية [3] نحـــو قوله تعالى : {وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ } يس32 . وقوله تعـــالى : {وَمَـــا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ }الأعراف102.

الرابع : أن تأتي زائدة . كقول النابغة الذبياني :

ما إنْ أتيتُ بشيءٍ أنت تكرهُهُ   إذنْ فلا رفعتْ سوطي إليَّ يدي .

وجعل النحاة زيادتها أكثر ما تكون بعد (ما) النافية إذا دخلت على جملة فعلية كمـــا في البيت ، أو اسمية كقوله :

فما إنْ طبُّنا جُبنُ ، ولكن		منايانا ودُولةُ آخرينا [4] .

ثم ذكر ابن هشام بعد هذه الاستفاضة عن "إنْ" الشرطية ومعانيها معنيين آخرين قد زيدا على هذه المعاني الأربعة هما : أنَّ "إنْ" قد تكون بمعنى (قدْ) ومنه قوله تعالى : {فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى }الأعلى9 . وهذا القول حُكيَ عن الكسائي وقطرب .
أما المعنى الثاني فهو أن تأتي "إنْ" الشرطية بمعنى (إذْ) وجعلوا منه قوله تعالى : {لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً }الفتح27 . ومنه أيضا قوله ـــ صلّى الله عليه وسلّم ـــ ((وإنّا إنْ شاء الله بكم لاحقون)) . وهذا القول زعمه الكوفيون حسب تعبير ابن هشام [5] .
دون أن يذكر السبب الذي دفعهم إلى هذا القول ، أو أن يبيّن وجه العلاقة بين "إن" الشرطية حتى تكون بمعنى "إذ" الظرفية .

إذْ واستعمالاتها

هي ظرف للمضيّ في أصل وضعها نحو قوله تعالى : {إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } التوبة40 .
وقال قسم من النحاة : إنها قد تقع للاستقبال خلافا للجمهور قال تعالى : {الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ } غافر70،71 .
وقد تكون للتعليل نحو قوله تعالى : {وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ }الزخرف39 . وترد للمفاجأة وهي الواقعة بعد بينا وبينما كقوله :
استقدرِ اللهَ خيرا وارضينَّ به		فبينما العسرُ إذ دارت مياسيرُ . [6]

كما أنها تكون شرطية ، فيجزم بها ، ولا تكون كذلك إلا مقرونة بـــ (ما) . وخـــصّ بعضهم جزمها بالشعر وجعلها كـــ (إذا) . وتأتي زائدة . ذهب إلى ذلك أبو عبيدة وابن قتيبة وجعلوا من ذلك قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِـــي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَـــدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }البقرة30 . وهي تدخل على الجملة الاسمية والفعليـــة نحو قوله تعالى : {إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّـــمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّـــهُ عَزِيـــزٌ حَكِـــيمٌ }التوبة40 . وقد تحذف الجملة المضاف إليها فيؤتى بالتنوين عوضا عنها نحو قوله تعالى : {يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا } الزلزلة4 [7] .

إن بمعنى إذ بين البصريين والكوفيين

إنّ كتب النحاة تبيّن لنا أن الكوفيين هم الذين أوجدوا بين إن الشرطية وإذ الظرفية هذه العلاقة ، فقد قالوا : إنّ "إنْ" الشرطية تقع بمعنى "إذْ" الظرفية . [8] وهذا القول الكوفي فتح باب قضية احتدم فيها الجدال بين البصريين والكوفيين ، وهـــي : هـــل تقـــع "إنْ" الشرطية بمعنى "إذ" الظرفيّة ؟ .

قال أبو البركات : ((ذهب الكوفيون إلى أنّ "إنْ" الشرطية تقع بمعـــنى "إذ"، وذهـــب البصريون إلى أنها لا تقع بمعنى "إذ" . [9] وأدلة الكوفيين تتلخص فيما يأتي :

أـــ القران الكريم .

وردت في كثير من الآيات القرانية "إنْ" بمعنى "إذ" .

قال تعالى :

{وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّـــن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }البقرة23 . أي: وإذ كنتم في ريب .

وهنا يرد سؤال هو : لماذا جنح الكوفيون لهذا القول ؟

والجواب : لأنّ (إنْ) الشرطية تفيد الشك ، بخلاف (إذْ) . ويمثلون لذلك بقـــولهم : ألا ترى أنه لا يجوز أن تقول: ((إنْ قامتِ القيامةُ كان كذا)) لما يقتضيه من معنى الشك ، ولو قلت : (إذ قامتِ القيامةُ)) أو ((إذا قامتِ القيامةُ)) كان جائزا ؛ لأن (إذ وإذا) ليس فيهما معنى الشك . وإذا ثبت أن (إنْ) الشرطية فيها معنى الشك ؛ فلا يجوز أن تكـــون هاهنا الشرطية ؛ لأنه لا شكّ أنهم كانوا في شكّ ؛ فدلّ على أنها بمعنى (إذْ). ومن هذه الآيات أيضا قوله تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ }البقرة278 . أي : إذ كنتم مؤمنين ؛ لأنه لا شك في كونهم مؤمنين ؛ ولهـــذا خاطبهم في صدر الآية بالإيمان ، فقال : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ }فدلّ على أنها بمعنى (إذْ) .

وقوله تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ }المائدة 57 . أي: إذ كنتم مؤمنين .

وقوله تعالى : {وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ }آل عمران139 أي: إذ .

وقوله تعالى : {لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِـــكَ فَتْحاً قَرِيباً }الفتح27 .

أي: إذ شاء [10] . فــ (إنْ) في هذه الآيات لا تحمل معنى الشك ، وليس فيهـــا معـــنى الجزاء وإنّما هي بمعنى (إذ) الظرفية .

الحديث الشريف

استشهد الكوفيون بما جاء في الحديث عن رسول الله ـــ صلّى الله عليه وسلّم ـــ حـــين دخل المقابر فقال :

((سلامٌ عليكم أهلَ دار قومٍ مؤمنين ، وإنّا إنْ شَاءَ اللهُ بكم لاحِقونَ)) أي: إذ لأنـــه لايجوز الشك في اللحوق بهم [11] .

من الشواهد الشعرية

قال الشاعر :

وسَمِعتْ َحَلْفتَها التي حَلَفَتْ إنْ كانَ سَمْعُكَ غَيْرَ ذِي وَقْرِ

أي: إذ .

ومنه أيضا قول الفرزدق :

أَتَجْزَعُ أنْ أُذْنا قُتَيْبَةَ حُزَّتا جِهارًا، وَلَمْ تَجْزَعْ لِقَتْلِ ابنِ حَازِمِ

يرى الكوفيون أنّ "إذ" في البيت ليست للشرط لمضيه، وإنّما هي بمعنى "إذ" .

وقول الآخر:

أَتَجْزَعُ أنْ بانَ الخَلِيطُ المُوَدّعُ وَحَبْلُ الصَّفَا مِنْ عَزَّةَ المُتَقَطِّعُ

والشواهد على هذا النحو أكثر من أن تُحصى حسب تعبير أبي البركات الأنباري . وتعليل الكوفيين لهذا البيت أنّ (إن) هاهنا بمعنى (إذ) والكلام تعليل لقوله : (سمعت حلفتها) فإنّ المراد عندهم : سمعت حلفتها لأنّ سمعك سليم غير ذي وقر

والذي دعاهم إلى هذا أن الأصل في الشرط أن يكون مستقبلا ،وذلك لأن القصد تعلق الجواب عليه ، وتعليق الشيء لايكون على شيء مضى ، لأنه حينئذٍ لا فائدة في تعليق وجود الجواب عليه ، وإنّما يكون التعليق فيما يأتي من الزّمان ، فلّما وجدوا (إنْ) تدخل على الفعل الماضي قالوا : إنّه لايُراد بها التعليق حينئذٍ ، وإنّما يراد بها التعليل)) (12) .

أدلة البصريين

لم يقدّم البصريون في منعهم وقوع (إن) الشرطية بمعنى (إذ) غير دليل واحد ، وهو الوضع الأصلي لـــ (إنْ) أن تكون شرطا . قال أبو البركات الأنباري موضّحا رأيهم بما نصّه : ((وأمّا البصريون فاحتجوا بأن قالوا : أجمعنا على أن الأصل في (إنْ) أن تكون شرطا ، والأصل في (إذ) أن تكون ظرفا، والأصل في كلّ حرف أن يكون دالّا على ما وضع لــه

في الأصل ، فمن تمسّك بالأصل فقد تمسّك باستصحاب الحال ؛ ومن عدل عن الأصل بقي مرتهنا بإقامة الدليل ، ولا دليل لهم يدلّ على ما ذهبوا إليه)) [13]

وتمسّكهم بالأصل جعلهم يستبعدون مجيء"إنْ" بمعنى "إذ" ، لذا قال أبو حيان : ((أَبْعَدَ مَنْ جعل "إنْ" بمعنى "إذ" ، فأخرجها عن الشرطيّة إلى الظرفيّة)) [14]

نقد البصريين لأدلة الكوفيين

جاء في الإنصاف : ((أمّا احتجاجهم بقوله تعالى : {وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }البقرة23. فلا حجّة لهم فيه ،لأنّ (إنْ) فيه شرطية ، وقولهم : ((إنّ إنْ الشرطية تُفيد معنى الشكّ)) قلنا: وقد تستعملها العرب وإن لم يكن هناك شكّ، جريا على عاداهم في إخراج كلامهم مخرج الشكّ وإن لم يكن هناك شكّ ... ، ومنه قولهم : ((إنْ كنت إنسانا فأنت تفعل كذا ، وإنْ كنت ابني فأطعني)) وإن كان لا يشك في أنه إنسان وأنه ابنه ، ومعناه: أنّ من كان إنسانا أو ابنا فهذا حكمه ، فخاطبهم الله تعالى على عادة خطاهم فيما بينهم)) [15] .

بقيت آية واحدة من الآيات التي استدلّ بها الكوفيون وقف أمامها البصريون حائرين ، وهي قوله تعالى : {لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً }الفتح27.

فأجابوا عن ذلك بوجهين بيّنهما أبو البركات الأنباري بقوله : أحدهما : ((أن يكون الاستثناء وقع على دخولهم آمنين ، والتقدير فيه: لتدخُلُنَّ المسجدَ الحرامَ آمنين إنْ شاء الله .

والوجه الثاني : أن يكون ذلك على طريقة التأديب للعباد ليتأدّبوا بذلك ،كما قال تعالى : {وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً } الكهف23 ــ24 .

وهذا الجواب هو بعينه إجابة عن إشكال الحديث الشريف :لأنه لّما أدّبه الحقّ بقوله تعالى : {وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ } تمسّك بالأدب وأحال على المشيئة فقال : ((وإنّا إنْ شاء الله بكم لاحقون)) [16] .

وأجاب البصريون عن قول الشاعر (إنْ كَانَ سَمْعُكَ غَيْرَ ذِي وَقْرِ) بقولهم : إنّ (((إنْ) فيه حرف شرط ، لا بمعنى إذ ، واستغنى بما تقدّم من قوله : (وَسَمِعْتَ) عن جواب الشرط لدلالته عليه على ما بيّنا)) [17]

رأي ابن هشام

لا يحمل رأي ابن هشام في هذه المسألة شيأ جديدا ، غير أنه ردّد رأي الجمهور إذ قال : ((فأجاب الجمهور عن قوله تعالى : ((إن كنتم في ريب)) بأنه شرط جيء به للتهييج والإلهاب ، كما تقول لابنك : إن كنت ابني فلا تفعل كذا وعن آية المشيئة ــ يعني : (لتدخلنَّ المسجد الحرام إن شاء الله آمنين) بأنه تعليم للباد كيف يتكلّمون إذا أخبروا عن المستقبل ، أو بأن أصل ذلك الشرط ثم صار يذكر للتبرك ، أو أنّ المعنى لتدخُلنَّ جميعاــ إن شاء الله ــ ألاّ يموتَ منكم أحد قبل الدخول ....)) [18]

رأي الإمام الرضيّ

عرض الرضيّ المسألة بقوله : ((وعند الكوفيين تجيء (إنْ) بمعنى (إذْ) ، قالوا في قوله تعالى : ((وإنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ)) إنها بمعنى إذْ ، لأن "إنْ" مفيدة للشك، تعالى الله عنه .

والجواب : أنّ "إنْ" ليست للشك ، بل لعدم القطع في الأشياء الجائز وقوعها وعدم وقوعها ، لا للشك ، ولو سلّمنا ذلك أيضا ، قلنا: إنه تعالى يستعمل الكلمات استعمال المخلوقين ، وإن كان يستحيل مدلولها في حقّه تعالى ، لضرب من التأويل ، كقوله تعالى : (لِيَبْلُوكم فيما آتاكم) لما كان التكليف من حيث التخيير في صورة الابتلاء ، وقال

تعالى : (لَعَلَّكُم تَتَّقون) لما كانوا في صورة من يُرتجى منهم ذلك ...، فكذا قال تعالى :(إنْ كُنْتُم مؤمنين) ، و(وإنْ كُنْتُم في رَيْبٍ) لمّا كان أمرهم في نفسه محتملا للإيمان وضدّه ، وللارتياب وضدّه لا بالنسبة إلى علم الباري تعالى .)) [19]

وكان لبعض الأساتذة المحدثين وقفة مع رأي الرضيّ هذا ، أرى أنها جديرة بالذكر هنا ، لأنها تفيد الباحثين في تدقيق الآراء وتمحيصها قبل الاستدلال بها ، ولو كانت للإمام الرضيّ أولغيره فعلى الباحث أن يأخذ بالإنصاف في كلّ مواقفه .

قال الدكتور عبد العال سالم مَكرَم : ((ورأي الرضيّ لنا وقفة معه ، وبخاصة عندما يقول : إنّ ((إنْ ليست للشكّ بل لعدم القطع في الأشياء الجائز وقوعها ، وعدم وقوعها)) في رأيي أن عدم القطع في الأشياء هو الشكّ بعينه مهما اختلفت العبارة واختلفت الألفاظ ــ فلم يأتِ بجديد حينما قال هذا القول الذي لا يختلف عن معنى الشكّ ، وإن اختلفت الألفاظ . وإذا رجعنا الى تعريفات الشكّ وجدنا السند والدليل لما نقول . لننظر ماذا يقول ابن السّيد عن الشكّ في كتابه (التعريفات) ؟ : ((الشكّ هو التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشاكّ)) وقيل: الشكّ ما استوى طرفاه ، وهو الوقوف بين الشيئين لا يميل القلب الى أحدهما ...)) ففي تعريفي الشكّ عند ابن السّيد نلحظ أنه لا فرق في معنى الشكّ بين ما قاله الرضيّ ، وما قاله ابن السّيد في تعريف الشكّ ، وإن اختلف الأسلوب ، واختلفت الألفاظ . وفي رأيي أن الرضيّ جانبه التوفيق حينما ركب هذا المركب الصعب في التأويل والتقدير)) [20]

رأي المفسرين

قال ابن قتيبة : ((المفسرون يقيمون "إنْ" في مقام "إذْ" في كثير من القرآن نحو قول الله جل وعز:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ }البقرة278 وقوله جل وعز:{وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ }آل عمران139 . [21]

إذن كان للمفسرين في هذه المسألة رأي ، وسأحاول عرضه لنقف على حقيقة القضية في ضوء التفسير القرآني .

رأي الطبريّ

ذكر الطبريّ أن القرّآء اختلفوا في كسر الهمزة وفتحها من (انْ) في قوله تعالى : {أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً أَنْ كُنتُمْ قَوْماً مُّسْرِفِينَ }الزخرف5 . فقال : ((واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والكوفة"إنْ كُنْتُمْ" بكسر الألف من"إنْ" بمعنى: أفنضرب عنكم الذكر صفحا إذْ كنتم قوما مسرفين. وقرأه بعض قرّاء أهل مكة والكوفة وعامة قرّاء البصرة"أنْ" بفتح الألف من"انْ"، بمعنى: لأن كنتم. واختلف أهل العربية في وجه فتح الألف من أن في هذا الموضع، فقال بعض نحويي البصرة: فتحت لأن معنى الكلام: لأن كنتم. وقال بعض نحويي الكوفة: من فتحها فكأنه أراد شيئا ماضيا، فقال: وأنت تقول في الكلام: أتيتُ أنْ حَرَمْتَني، تريد: إذ حَرَمْتَني، ويكسر إذا أردتَ: أتيتُ إنْ تَحْرُمْني. ومثله:(وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ) و(أنْ صَدُّوكُمْ) بكسر وبفتح. و (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا) قال: والعرب تنشد قول الفرزدق :

أَتَجْزَعُ أنْ أُذْنا قُتَيْبَةَ حُزَّتا جِهارًا ، وَلَمْ تَجْزَعْ لقَتْلِ ابنِ حَازِمِ

قال: وينشد:

أَتَجْزَعُ أنْ بانَ الخَلِيطُ الْمُوَدّعُ وَحَبْلُ الصَّفَا مِنْ عَزَّةَ الْمُتَقَطِّعُ

قال: وفي كل واحد من البيتين ما في صاحبه من الكسر والفتح. والصواب من القول في ذلك عندنا: أن الكسر والفتح في الألف في هذا الموضع قراءتان مشهورتان في قرأة الأمصار صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، وذلك أن العرب إذا تقدم "انْ" وهي بمعنى الجزاء فعل مستقبل كسروا ألفها أحيانا، فمحضوا لها الجزاء، فقالوا: أقوم إنْ قمت، وفتحوها أحيانا، وهم ينوون ذلك المعنى، فقالوا: أقوم أنْ قمت بتأويل، لأنْ قمت، فإذا كان الذي تقدمها من الفعل ماضيا لم يتكلموا إلا بفتح الألف من"أنْ" فقالوا: قمت أنْ قمت، وبذلك جاء التنزيل، وتتابع شعر الشعراء.)) (22)

ذلك هو نصّ الطبريّ في هذه المسألة ، فقد وضّح بما لا يدع مجالا للشكّ أنّ كسر همزة "إنْ" التي قرأ بها أهل المدينة وأهل الكوفة على تقدير أنّ "إنْ" بمعنى : "إذْ" .

رأي الزمخشريّ

(إِنْ كُنتُمْ قوما مسرفين) أي : لأنْ كُنْتُم . وقُرِىَء (إنْ كُنْتُم) و(إذ كنتم) . فإن قلت : كيف استقام معنى إن الشرطية ، وقد كانوا مسرفين على البتّ ؟ قلت : هو من الشرط الذي ذكرت أنه يصدر عن المُدِلِّ [أي:المواثق] بصحة الأمر ، المتحقق لثبوته ، كما يقول الأجير: إنْ كنتُ عَمِلْتُ لكَ فَوَفِّني حَقِّي ، وهو عالم بذلك؛ ولكنه يُخَيَّلُ في كلامه أنَّ تفريطَك في الخروج عن الحقِّ فِعْلُ مَنْ له شك في الاستحقاق ، مع وضوحه استجهالاً له .[23]

رأي الفخر الرازي

ذكر الفخر الرازي ّأن قرآءة : ((نافع وحمزة والكسائي {أَن كُنتُمْ} بكسر الألف تقديره : إن كنتم مسرفين لا نضرب عنكم الذكر صفحاً ، وقيل (إن) بمعنى إذ كقوله تعالى : {وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الربا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} (البقرة : 278) وبالجملة فالجزاء مقدم على الشرط ، وقرأ الباقون بفتح الألف على التعليل أي لأن كنتم مسرفين))[24]

رأي أبي حيّان

{ أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ } ((قرأ نافع والأخوان : بكسر الهمزة ، وإسرافهم كان متحققاً. فكيف دخلت عليه إن الشرطية التي لا تدخل إلا على غير المتحقق ، أو على المتحقق الذي أنبهم زمانه ؟ قال الزمخشري : هو من الشرط الذي ذكرت أنه يصدر عن المُدِلِّ

بصحة الأمر المتحقق لثبوته ، كما يقول الأجير : إن كنتُ عملتُ لكَ فوفِّني حقي ، وهو عالم بذلك ، ولكنه يخيل في كلامه أن تفريطك في الخروج عن الحق فعل من له شك في

الاستحقاق ، مع وضوحه ، استجهالاً له. وقرأ الجمهور : أن بفتح الهمزة ، أي من أجل أن كنتم. قال الشاعر :

أتجزع أن بان الخليط المودع [25] .

رأي الآلوسيّ

وقرأ نافع والأخوان إن كنتم بكسر الهمزة على أن الجملة شرطية وإن كانت تستعمل للمشكوك وإسرافهم أمر محقق لكن جيء بها هنا بناء على جعل المخاطب كأنه متردد في ثبوت الشرط شاك فيه قصدا إلى نسبته إلى الجهل بارتكابه الإسراف لتصويره بصورة ما يفرض لوجوب انتفائه وعدم صدوره ممن يعقل وقيل : لا حاجة إلى هذا لأن الشرط الإسراف في المستقبل وهو ليس بمتحقق ورد بأن إن الداخلة على كان لا تقلبه للاستقبال عند الأكثر ولذا قيل : إ ن هنا بمعنى إذ . [26]

رأي ابن عاشور

((قرأ نافع وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف : (إنْ كُنْتُم) بكسر همزة " إنْ " فتكون " إنْ " شرطية ، ولما كان الغالب في استعمال " إِنْ " الشرطية أن تقع في الشرط الذي ليس متوَقعاً وقوعُه بخلاف (إِذَا) التي هي للشرط المتيقن وقوعه ، فالإتْيَان بـ " إنْ " في قوله : (إنْ كنتم قوماً مسرفين) لقصد تنزيل المخاطبين المعلوم إسرافهم منزلة من يُشَك في إسرافه لأن توفر الأدلّة على صدق القرآن من شأنه أن يزيل إسرافهم . وفي هذا ثقة بحقّيّة القرآن وضَرب من التوبيخ على إمعانهم في الإعراض عنه .

وقرأه ابن كثير وابن عامر وعاصم وأبو عمرو ويعقوب بفتح الهمزة على جعل " أنْ " مصدرية وتقديرِ لام التعليل محذوفاً ، أي لأجل إسرافكُم ، أي لا نترك تذكيركم بسبب كونكم مسرفين بل لا نزال نعيد التذكير رحمة بكم)) [27]

رأي بعض المحدثين

ذكر المرحوم محمد محيي الدين عبد الحميد أنّ ممّا يؤيّد الكوفيين فيما ذهبوا إليه : ((أنّك تجد "إنْ" ــ فيما ذكروه من الآيات الكريمة والأبيات ــ لم يُذكر بعدها جــواب ؛ وأنّ الآيات قد قُرِئَ في كلٍ منهما بكسر همزة "إنْ" وقُرِئَ بفتحها ؛ وكذلك الأبيات الــتي رووها تُروَى بكسر الهمزة وبفتحها ؛ فهذه ثلاثة أشياء : كون الفعل بعــدها ماضــيا ، وعدم ذكر الجواب، ورواية فتح الهمزة . وكلّها تمنع أن تكون "إنْ" شرطيّة . وقد تمحّل البصريون في كلّ واحد من هذه الثلاثة : أمّا مضيّ الفعل فزعموا أنّه ــ وإن كان ماضيا في اللفظ مستقبل في المعنى ؛ لأنه سبب لما أريد التعليق عليه ، أو لأن المراد : إنْ يتبــيّن كذا ، وأمّا عدم ذكر الجواب فقد ادّعوا أنه محذوف لدلالة الكلام عليه وهو مراد ، وأمّا فتح الهمزة فقد أنكروا وروده))(28)

وذكر الأستاذ عباس حسن ــ في كتابه النحو الوافي ــ هذه المسألة أيضا في عجالــة ، وأجمل حجّة الكوفيين بقولك : ((وحجّة القائلين بأنها [أي:إنْ] بمعنى "إذ" التعليليّة : أنّ التعليق غير صحيح في الأمثلة المذكورة ؛ (29) لأنّ التعليق يقتضي ترتب أمر على أمر ؛ فالأمر الثاني (المسبَّب) يكون غير متحقق ولا حاصل وقت الكلام إذ لو كــان متحققــا حاصلا وقت الكلام لم يكن هناك معنى للتعليق. في حين : الإيمان وعدمه في الاية الأولى [هي قوله تعالى : واتَّقُوا اللهَ إنْ كُنْتُم مُؤمِنِينَ] معلوم قطعا لله الذي لا يخفى عليه شيء مما كان ، أو هو كائن ، أو سيكون في المستقبل ، فهو محقق الوجود وقت الكلام .)) (30)

وهكذا يمضي الأستاذ في كلامه على معنى المشيئة في قوله تعــالى : (لَتَــدْخُلُنَّ المسَــجْدَ الَحَرَامَ إنْ شَاءَ الله آمنين) وفي الحديث الشريف (وإنّا إنْ شاء اللهُ بكــم لاحِقُــونَ) ثمّ يخلص ــ بعد هذه الحجج التي ذكرها ــ بأنّ "إنْ" قد يؤتى بها للشرط المحقق ؛ لنكتــة بلاغية ؛ كالتهييج في الآية ، كما يقول الوالد لابنه: إن كنتَ ابني فافعل كذا (31) .

وقدكان للدكتور عبد العال سالم مَكرَم رأي خاصّ به في هذه المسألة إذ قال : ((الواقع أنّ سبب المعركة النحوية بين البصريين والكوفيين قائم عل أساس أنّ البصريين لهم منهج صارم في قضايا النّحو ، فــ "إنْ" الشرطية عندهم تحمل معنى الشكّ ، لأنّ الجزاء مترتّب على الشرط ، فإذا ما تحقق الشرط تحقق الجزاء ، وتحقق الشرط أمر مشكوك فيه ، فــإذا قلنا : إنْ تذاكر تنجح ، فإنّ المذاكرة بدخول إنْ عليها ليس تحققها واقعا لكنّه قد يقع ، فبدخول إن احتمل الأمر حدوث الشرط ، واحتمل عدم حدوثه .... ومع صرامة منهج البصريين نجد أنهم ليحافظوا على أصولهم ، ويصونوا منهج مذهبهم يلجئون إلى التأويــل والتقدير . وفي رأيي أن منهج الكوفيين مجرّد من التعقيد ، خالٍ من التأويل، سليم مــن التقديرات ، فما المانع أن تكون "إنْ" بمعنى "إذ" ؟ وهذا أمر معترف به في أساليب اللغــة العربية ، فالحروف تحمل معنى الحروف ، والأفعال أيضا تحمل معنى الأفعال، وهذا بــاب واسع ، فتحه على مصراعيه ابن جنّي في كتابه الخصائص . وهو باب (التضمين) . على أنّ البصريين قد التزموا منهم الحرفيّة حينما قالوا : إن الأصل في إنْ تكون للشرط ، ومن تمسّك بالأصل فقد تمسّك باستصحاب الحال .

أيُّ أصل هذا الذي يستمسك به البصريون ؟ ، إن أساليب القول تختلف وتتباين حسب اختلاف المواقف ، وتباين الأحوال ، فلكل موقف أسلوب ، ولكل حالة تركيب . ولوْ لوَينا أعناق البصريين نحو البلاغة ، ومواقفها، وأحوالها، ومقاماتها لعرفوا أنهم ما كــان يجب أن يستمسكوا بهذه القوانين الصارمة ، فليست الأساليب العربية قوالب جامــدة ، تُصبّ فيها الكلمات ، وتُوضَع على غرارها الأساليب ، لأنّ الأساليب العربية كما قلتُ مرتبطة بالموقف ، مرتبطة بالهدف ، مرتبطة بالمقام ، ولكل مقام مقال)) [32]

وذكر الدكتور أن لــ "إنْ" الشرطية استمالات كثيرة ذكرها الخطيب القزويني كتابــه الإيضاح . منها : أن تأتي "إنْ" في مقام القطع بوقوع الشرط لنكتة كــ : التجاهــل ، لاستدعاء المقام إيّاه ، وكعدم جزم المخاطب كقولك : لِمَنْ يُكذِّبُكَ فيمــا تخــبر : إنْ صدقت فقل ماذا تفعل .

وكتتريله مترلة الجاهل لعد جريه على موجب العلم ، كما تقول لمن ي}ذي أبــاه : إن كان أباك فلا تفعل .

وكالتوبيخ على الشرط ، وتغليب غير المتصف بالشرط على المتصف به .
ومنه قوله تعالى : {وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }البقرة23 . فإنه يحتمل أن يكون للتوبيخ على الريبة لاشتمال المقام على ما يقلعها من أصلها . ويحتمل أن يكون لتغليب غير المرتـــابين منهم ، فإنه كان فيهم من يعرف الحقَّ وإنّما ينكر عنادا . (33)

الأسباب التي دعت الكوفيين إلى هذا القول .

بعد هذا العرض لآراء النحاة والمفسّرين في هذه المسألة أرى أنه آن الأوان للكشف عـــن الأسباب الذي دعت الكوفيين أنْ يوجدوا هذه العلاقة بين "إنْ" الشرطية و"إذ" الظرفية .
إن هذا القول لم يأتِ اعتباطا منهم ، بل جاء ـــ فيما يبدو لي ـــ لأسباب عديدة منها :

أ- أنهم نظروا إلى الشبه بين "إنْ" الشرطية و "إذ" الظرفيّة من حيث اقتران جواب الأخيرة بالفاء فلذلك عوملت "إذْ" معاملة "إنْ" الشرطية . ومنه الآيات الآتية :
قال تعالى : {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْراً مَّا سَبَقُونَا وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِـــهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ }الأحقاف11 . وقال : {لَوْلَا جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَـــإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاء فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ }النور13. وقال : {أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَـــاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ }المجادلة13 .
قال ابن هشام : وأغرب ما دخلت عليه "إذ" ، وذلك لشبهها بـــ "إنْ" ، أنشد أبو الفتح :

غَضِبتْ عليَّ لأن شربتُ بجزَّةٍ فلإذْ غَضِبْتِ لأشربَنْ بخَروفِ

وهو نظير دخول الفاء في قوله تعالى : {لَوْلَا جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَإِذْ لَـــمْ يَـــأْتُوا بِالشُّهَدَاء فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ} النور13 .
شبهت "إذ" بـــ "إنْ" فدخلت الفاء بعدها كما تدخل في جواب الشرط)) (34)

وجاء في شرح الكافية للرضيّ : ((وأما قوله تعالى : ((وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ)) ، وقوله : ((فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا)) فلإجراء الظرف مجرى كلمة الشرط ، كما ذكر سيبويه في نحو
قولهم : ((زيدٌ حِينَ لَقِيتُه فأنا أُكرِمُهُ)) ، ... وذلك في "إذْ" مطّرد)) [35]

وجاء في الدر المصون : ((: قوله : (فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا) : "إذ" منصوب بــ (الكـــاذبون) في قوله : (فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ) . وهذا الكلام في قوّة شرط وجزاء)) [36]
وفي حديثه أيضا عن آية المجادلة ذكر ثلاثة أقوال لــ "إذ" منها : أنها بمعنى "إنْ" الشرطية [37] .

ب ـ أنّ الشبه بين "إنْ" الشرطية و"إذ" الظرفية ظاهر من حيث اللفظ كما بُيِّنَ في النقطة السابقة . أمّا من حيث المعنى فقد ذُكِرَ أنّ "إذ" تأتي للتعليل.[38] ومن المعلـــوم أنّ "إنْ" للشرط ، والشرط يكون فيه معنى العلة بدليل : أنّ قولك : إنْ أَتَيْتَني أكرمتُكَ هو بمعنى : إئْتِني لإكرامِكَ . [39]

ج ـ أن بعض الآيات القرآنية يصعب تأويل إنْ فيها ، فلذلك نجد المفسرين قد كثـــرت أقوالهم من أجل الإشكال الحاصل في ورود إنْ في بعض الآيات القرآنية نحو قوله تعـــالى :{وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّـــن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }البقرة23 .
ومنه أيضا قوله جلَّ ذكره : {وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ }آل عمران139 . وقوله : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنـــتُم مُّؤْمِنِينَ }البقرة278 .
وقوله : {لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحـــاً قَرِيباً }الفتح27 .
وذلك لأن إنْ الشرطية فيها معنى الشكّ ؛ فلايجوز أن تكون هاهنا .

قال النحاة : ((لا تُستعمل (أي إنْ الشرطية) إلاّ فيما كان مشكوكا في وجوده)) .[40] ومن اجل هذا فلا شكّ أنهن كانوا في شكّ حسب تعبير أبي البركات الأنباريّ .[41]

وإذا كان هذا هو استعمال إنْ الشرطية فما هو وجه إنْ في الآيات السالفة ؟ لا بـــدّ أن يكون التأويل هو المخرج الوحيد من هذه المسألة . فقد قال النحاة والمفسرون : إن "إنْ" الشرطية في قوله تعالى : ((وإن كنتم في ريب)) جيء بها من باب التغليب لأن الكل لم يكونوا مرتابين فغلب غير المرتابين منهم على المرتابين ، وقيل : جيء بها من باب التهكّم بهم ، وقيل: جيء بها في قوله تعالى : ((لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِـــنِينَ)) من باب تعليم العباد كيف يتكلّمون إذا أخبروا عن المستقبل ، أو من باب التبرّك ، وقيل : غير ذلك .[42]

وكلّ هذه الأقوال وغيرها جيء بها للتخلّص من القول بمجيء "إنْ" بمعنى "إذ" . ولـــو سلّمنا بهذه الأقوال فهل الشرط سيكون قطعي الوقوع أم قطعي اللاوقوع ؟ .

ومن أجل هذا فإني أجد أنّ السعد التفتازاني كان أكثر إنصافا لرأي الكوفيين إذ قال وهو يتحدث عن "إنْ" في قوله تعالى ((وإنْ كُنْتُم في رَيْبٍ)) : ((وقوله تعالى للمخـــاطبين المرتابين { وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا} ، يحتملهما أي : يحتمل ان يكـــون للتوبيخ والتصوير المذكور وان يكون لتغليب غير المرتابين على المرتابين لانــــه كـــان في المخاطبين من يعرف الحق وانما ينكر عنادا فجعل الجميع كأنه لا ارتياب لهم. وههنا بحث ، وهو: أنه إذا جعل الجميع بمنزلة غير المرتابين كان الشرط قطعي اللاوقوع فلا يصـــح استعمال " إنْ " فيه كما إذا كان قطعي الوقوع لانها انما تســـتعمل في المعـــاني المحتملـــة المشكوكة وليس المعنى ههنا على حدوث الارتياب في المستقبل . ولهذا زعم الكوفيون إنّ " إنْ " ههنا بمعنى إذ))[43]

أمّا عن قوله تعالى : {وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ }آل عمران 139. فقد ذكر المفسرون أوجها لــ" إنْ " في هذه الآية منها : أن تكون بمعنى " إذ " .[44]

وعللوا سبب هذا بقولهم : ((وقيل : إنْ بمعنى إذْ ، كقوله : {وَأَنتُمُ الاعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} : أي إذ كنتم ؛ لأنه لم يخبر بكونهم (الأعلون) إلا بعد إيمانهم ، وقالوا أيضا : إنّ الله لم يخبرهم بعلوهم إلا بعد إنْ كانوا مؤمنين . (45)

ويبدو لي أنّ الكوفيين كانت نظرتهم أعمق إذ جعلوا "إنْ" هنا بمعنى " إذْ" وذلك لأنهم أعطوا لــ "إنْ" معنى التحقق بجعلهم إيّاها بمعنى "إذْ" قال السيوطيّ : ((خرّجوا عليه (يعني الكوفيين) قوله تعال :{واتقوا الله إن كنتم مؤمنين } و{ لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين } و{ وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين } ونحو ذلك مما الفعل فيه محقق الوقوع)) (46) .

د_ أنّ الكوفيين استدلوا على مجيء إن بمعنى إذ بقراءة زيد بن علي فقد قرأ بذال مكان النون في قوله تعالى : ((وأنتم الأعلون إنْ كنتم مؤمنيين)) أي: إذْ (47) وفي هذا تأييد لما ذهب إليه الكوفيون (48)

الخاتمة

والذي يبدو لي في ختام هذا البحث أنه لا مانع من مجيء "إنْ" الشرطية بمعنى "إذ" الظرفية أو التعليلية ، ولو أن النحاة وجّهوا المواضع التي جيء فيها بـــ "إنْ" التي تفيد الشك بقولهم : إذا كان في الجملة شك فإنْ على بابها وإلاّ فهي بمعنى إذْ لكُفينا هذه التأويلات وتعدد الأوجه في الآية الواحدة . وما ذلك منهم إلا لأنهم لا يريدون الخروج عن أمر قعّدوه ، أو قول التزموه . وإذا ما نظرنا الى كثرة التأويلات والآراء في الآية الواحدة فإننا سنجزم حينئذٍ بأنهم لم يقولوا ما قالوه إلاّ ليُقلّلوا من شأن الرأي الذي يقول بمجيء "إنْ" بمعنى "إذ" .وربّما كان استضعاف هذا الرأي من البصريين تمحُّلا لا داعي له .فقد وصف الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد رأي البصريين بعد أن ذكر ثلاثة أشياء تؤيّد رأي الكوفيين في هذه المسألة بالتمحَّل إذ قال: ((وقد تمحّل البصريون في كلّ واحد من هذه الثلاثة : أمّا مضيّ الفعل فزعموا أنّه ـــ وإن كان ماضيا في اللفظ مستقبل في المعنى ؛ لأنه سبب لما أريد التعليق عليه ، أو لأن المراد : إنْ يتبيّن كذا ، وأمّا عدم ذكر الجواب

فقد ادّعوا أنه محذوف لدلالة الكلام عليه وهو مراد ، وأمّا فتح الهمزة فقد أنكروا وروده)) [49] .

وربّما كان مجيء "إذْ " في بعض الآيات له من الخصوصيات البلاغيّة ما ليس في "إنْ" نفسها ، وذلك نحو قوله تعالى : {وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم } ، مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقاً} الكهف16 وقوله:{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْراً مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ }الأحقاف11، وقوله : {لَوْلَا جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاء فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ }النور13 . إنّ اشتغال بعض النحاة بالقواعد التي ألزموا أنفسهم بها ربّما كان فيه بخس لجانب المعنى المراد من هذه الآيات . فعندما نعرضها على قواعدهم فإنّهم سيجيبون بأنّ "إذ" في الآيات السابقة لا يجوز أن يعمل فيها الفعل المستقبل الواقع بعدها ، ولِمَ لا يجوز ؟ الجواب : لتضادّ الزمانين أعني: المضي والمستقبل ، ولأنّ الفاء لا يعمل ما بعدها فيما قبلها . لذلك تجدهم يقدِّرون فعلا محذوفا يتعلّق به الظرف أي: وإذ لم يهتدوا ظهر عنادهم وهكذا . [50]

هل يُعقل أنّ هذا الحكم يكون متماشيا مع أيِّ سياق أو تعبير . فليس الغرض من الآيات السابقة أنهم سيقولون هذا إفك قديم في المستقبل وأنّهم لم يقولوه فيما مضى حتى يكون هناك تعارض بين الزمانين ، بل المقصود أنّ قولهم هذا قد قيل في الماضي وسيدومون عليه في المستقبل . وللتوضيح أكثر نورد ما قاله صاحب التحرير والتنوير: ((ومعنى الآيـة : أي: (وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم) وإذ لم تحصل هدايتهم بالقرآن فيما مضى فسيستمرون على أن يقولوا : هو إفك قديم ، إذ لا مطمع في إقلاعهم عن ضلالهم في المستقبل . ولّما كانت " إذ " ظرفاً للزمن الماضي وأضيفت هنا إلى جملة واقعة في الزمن الماضي كما يقتضيه النفي بحرف " لَم " تعين أن الإخبار عنه بأنهم سيقولون : هذا إفك أنهم يقولونه في المستقبل ، وهو مؤذن بأنهم كانوا يقولون ذلك فيما مضى أيضاً لأن قولهم ذلك من تصاريف أقوالهم الضالة المحكية عنهم في سور أخرى نَزلت قبل هذه السورة فمعنى فسيقولون : سيدومون على مقالتهم هذه في المستقبل . فالاستقبال زمن للدوام على هذه المقالة وتكريرها مثله في قوله تعالى حكاية عن إبراهيم : { وقـال

إني ذاهب إلى ربي سيهدين } (الزخرف : 27) فإنه قد هداه من قبل وإنما أراد : سيديم هدايته إياي . فليس المقصود إخبار الله رسوله (صلى الله عليه وسلم) بأنهم سيقولون هذا ولم يقولوه في الماضي إذ ليس لهذا الإخبار طائل . وإذ قد حكي أنهم قالوا ما يرادف هذا في آيات كثيرة سابقة على هذه الآية وأنهم لا يقلعون عنه . ولا حاجة إلى تقدير فعل محذوف تتعلق به " إذ " . وحيث قدم الظرف في الكلام على عامله أشرب معنى الشرط وهو إشراب وارد في الكلام ، وكثير في " إذ " ، ولذلك دخلت الفاء في جوابه هنا في قوله : (فسيقولون) ...

ولا تمنع الفاء من عمل ما بعدها فيما قبلها على التحقيق)) [51] .

وهذا المعنى لمحه الرضيّ أيضا إذ قال : ((وإنّما جاز إعمال المستقبل الذي هو (سيقولون) ، و(فأووا) ، و(فأقيموا) ، في الظروف الماضية التي هي : (إذ لم يهتدوا) ، و(إذ اعتزلتموهم) ، وإذ لم تفعلوا) ، وإن كان وقوع الفعل المستقبل في زمن الماضي محالا لما ذكرنا في نحو : (أمَّا زيدُ فمنطلقُ) ، مِن الغَرَض المعنويّ ؛ أي: قصد الملازمة ، حتّى كأنّ هذه الأفعال المستقبلة وقعت في الأزمنة الماضية ، وصارت لازمة لها ، كلّ ذلك لقصد المبالغة)) [52]

. ولو جيء بـ "إنْ" في تلك الآيات لكانت نصًّا في المستقبل . ولكان أيضا أمرهم مشكوكا في وقوعه . إذن التعبيربـ "إذ" له من الدلالة على تحقق وقوع الفعل، وربّما كانت نفس الدلالة لـ "إنْ" إذا جاءت بمعنى "إذ" . وربّما كان مقصد الكوفيين فيما ذهبوا إليه هو دلالة تحقق وقوع الفعل بـ"إذْ" عندما قالوا : إنّ "إنْ" تأتي بمعنى "إذ" وإذا كان هذا مرادهم فما الضير في قبول رأيهم هذا ؟ .

الهوامش

1_ الإنصاف 170/2 [المسألة الثامنة والثمانون]
2_البحر المحيط 122/1 .
3_ في إعمالها عند دخولها على الجملتين خلاف ذكره ابن هشام في المغني 36_37 .
4_ينظر: المغني 33_38 .
5_المصدر السابق 39 . وينظر الجنى الداني 234 .
6_ينظر : المغني 111_116 والهمع 204/1 .
7_ينظر : الجنى الداني و215،214 الهمع 204/1 وشرح الكافية للرضي 1296/2
8_ينظر الإنصاف في مسائل الخلاف 169/2 . المسألة (88) . والبرهان للزركشي 219/4 .
9_الإنصاف 169/2 .
10_المصدر السابق 169/2، و الحديث في سنن أبي داود 196/2- كتاب الجنائز : (عن أبي هريرة أن رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ خرج الى المقبرة فقال : (السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون) ، ويراجع مسند الإمام أحمد 300/2 . وصحيح مسلم 152/1 . والحديث كما ترى بلفظ (السلام) ولم أجده بغير اللام في كتب الصحاح .
11_الإنصاف 169/2 .
12_المصدر السابق 169/2-170 . وينظر : معاني القران للفراء 27/3-28 ، والخزانة للبغداديّ 656/3 .
13_ الإنصاف 170/2 .
14_البحر المحيط122/1 .
15_الإنصاف 170/2
16_المصدر السابق 2/ 171 .
17_ المصدر السابق 171/2 .
18_المغني 40 .
19_شرح الكافية للرضي 91/4 .
20_أسلوب إذ في ضوء الدراسات القرآنية والنحوية 71 .
21_غريب الحديث لابن قتيبة 39/1
22_جامع البيان في تفسير القرآن للطبريّ 570/21 .
23_الكشاف 241/4 .
24_مفاتيح الغيب للفخر الرازي 3985/1.
25_ البحر المحيط 8/8
26_ روح المعاني 66/25 .

27_ التحرير والتنوير 214/25-215 .
28_الانتصاف من الإنصاف 2/ 172. مطبوع على هامش الإنصاف .
29_ الأمثلة الذكورة هي : قوله تعالى : (اتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ }المائدة57 وقوله :(تَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ) الفتح . والحديث الشريف : (وإنّا إنْ شاء الله بكم لاحقون)
30_النحو الوافي للأستاذ عباس حسن 328/4
31 _المصدر السابق 328/4
32_ أسلوب إذ في ضوء الدراسات القرآنية والنحوية 78 .
33 _المصدر السابق 79 ،80، 81 . وينظر : الإيضاح للقزويني
34_المغني 311 .
35_شرح الكافية للرضي 511/4 .
36_ الدر المصون 390/8 .
37_الدر المصون 272/10 ،273 .
38_ينظر المغني 113 ، والجنى الداني 213 .
39_ينظر : حاشية الدسوقي على المغني 70/2 ، 71 .
40_ ينظر : شرح المفصل لابن يعيش 113/5 ، و البرهان للزركشي 360/2 ، و المقتضب 126/1
41_ ينظر : الإنصاف 169/2 ،
42_ ينظر : روح المعاني 192/1 و البرهان 363/3 و مفاتيح الغيب للرازي 395/1 والمغني 43
43_مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني 83/1
44_ينظر : الجامع لأحكام القران للقرطبي 217/4 ، والبرهان للزركشي 220/6
45_البحر المحيط 345/8،وروح المعاني 20 399 ، والبرهان 219/4 .
46_الإتقان للسيوطي 431/1 .
47_ينظر البحر المحيط 3/8 وروح المعاني 66/25 .
48_ ينظر : روح المعاني 66/25 .
49_ الإنصاف 172/2 .
50_ ينظر : البحر المحيط 45/8 والدر المصون 5168/1 ومشكل إعراب القرآن 117/3
51_التحرير والتنوير 23/26 , وينظر : روح المعاني 14/26
52_ شرح الكافية للرضي 511/4 ، 512 .

مصادر البحث

1_الإتقان في علوم القرآن : لجلال الدين السيوطيّ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ــ مصر ــ الطبعة الثانية ــ 1951 م .

2_ أسلوب " إذْ" في ضوء الدراسات القرآنية والنحوية : للدكتور عبد العال سَالم مَكرَم ، مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ الطبعة الأولى ــ 1988م .

3_الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين:البصريين والكوفيين : لأبي البركات عبد الرحمن ابن محمد الأنباريّ ، ومعه: الانتصاف من الإنصاف : للشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الطلائع ــ مصر ــ لا ط ، لا ت .

4_ الإيضاح في علوم البلاغة : لجلال الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني ،تحقيق:لجنة من أساتذة الأزهر ــمطبعة السنّة المحمدية .

5_البحر المحيط لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان الأندلسيّ الغرناطيّ الجيّانيّ الشهير بأبي حيّان ، مطبعة السعادة ــ بمصر ــ الطبعة الأولى ــ

1328 هـ

6_البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي ، نحقيق:محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربيةــالطبعة الاولىــ1957م .

7_التحرير والتنوير (المعروف بتفسير ابن عاشور التونسيّ) للشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور ، مؤسسة الرسالةــ بيروت ــ لبنان الطبعة الأولى ــ 2000م .

8_جامع البيان في تأويل : لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري ، تحقيق: : أحمد محمد شاكر ،الطبعة : الأولى ، 1420 هـ - 2000 م

9_الجامع لأحكام القران للقرطبي :لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ، دار الكتب المصرية ، 1935م .

10_الجنى الداني في حروف المعاني : لحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: د. طه محسن ، طبع بجامعة الموصل سنة 1976م .

11_ حاشية الدسوقي على مغني اللبيب عن كتب الأعاريب :للعلّامة الشيخ مصطفى محمد عرفة الدسوقي ضبط وتصحيح :عبد السلام محمد أمين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان الطبعة الثانية ــ 2007م .

12_خزانة الأدب ولب لسان العرب :عبد القادر بن عمر البغداديّ ، تحقيق وشرح:عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ــ القاهرة ــ الطبعة الثالثة ــ 1989م .

13_الدر المصون في علوم الكتاب المكنون :لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبيّ، تحقيق:د.أحمد محمد الخرّاط، دار القلم ــ دمشق ــ الطبعة الأولى ــ1415هــ ــ 1994م .

14_روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المعروف (بتفسير الألوسي) لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

15_سنن أبي داود : لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، دار الكتاب العربي ــ بيروت ، لا ط ، لات .

16_شرح كافية ابن الحاجب : لرضيّ الدين محمد بن الحسن الأستراباذيّ ،تقديم د: أميل بديع يعقوب ،دارالكتب العلمية ــ بيروت ــ الطبعة الثانية ــ 2007م

17_ شرح المفصل : لابن يعيش موفق الدين يعيش بن علي ، تقديم د : إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى 2001م.

18_ صحيح مسلم (لمسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري) ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت

19_غريب الحديث لابن قتيبة : لأبي محمد عبد الله بن مسلم بم قتيبة الدينوري ، صنع فهارسه : نعيم زرزور دبلوم الدراسات العليا في اللغة العربية وآدابها دار الكتب العلمية
بيروت – لبنان ــ الطبعة الاولى 1408 هـ - 1988 مـ
20_الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويلفي وجــوه التأويــل : لجــار الله الزمخشريّ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ــ سنة 1948م .
21_مختصر المعاني : لسعد الدين التفتازاني .
22_مسند الإمام أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة .
23_مشكل إعراب القرآن : لأبي مكيّ بن ابي طالب القيسيّ ، تحقيق : د. حــاتم صالح الضامن ، مطبعة دار الحرية ــ بغداد ــ 1975م .
24_معاني القرآن : لأبي زكريا يحيى ابن زياد الفرّاء ، تحقيق : أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار ، دار السرور .
25_المغني مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لجمال الدين ابن هشام الأنصاري ، تحقيق د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ومراجعة سعيد الأفغاني ، دارالفكر ، بيروت، الطبعة السادسة ، 1985 م
26_مفاتيح الغيب : للإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمــد بن عمر التميمي الرازي الشافعي المعروف (بــالفخر الــرازيّ) ،دار الكتــب العلمية،
بيروت - الطبعة الأولى 1421هــ - 2000 م
27_المقتضب المقتضب لأبي العباس محمد بن يزيد المبرّد ، تحقيق عبد الخالق عضيمة ، القاهرة ، 1386هــ .
28_النحو الوافي النحو الوافي للدكتور عباس حسن ، بيروت ، الطبعة الأولــى، 1428هــ 2007م .
29_همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، لجلال الدين السيوطي ، تحقيق أحمــد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية، 1427هــ 2006م .